جامعة محمد بوضياف

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

مقياس : منهجية البحث الفلسفي **السنة الثانية**

السداسي الرابع **د : بوزبرة عبد السلام**

المحاضرة التاسعة :09

المنهج البنيوي

المنهج البنيوي.

كانت ظاهرة البنيوية في النقد قد تشكلت في ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية، بعد الإحباطات التي تعرض هلا النقاد الأوربيون،مما أدى إلى قيام توجه حديث يف الدرس النقدي تزعزعت معه أسس النقد التقليدي، التي كانت تهتم بحياة الكاتب وأعماله، فاتجهت نحو دراسة النصوص من الداخل . اعتمادا على بناء النص وتكوينه ومن هنا ظهر المنهج البنيوي .وقد ظهر هذا المنهج كردة فعل على وضع فكري كان يتحدث عن تشظي المعرفة، وتفرقها إلى عناصر دقيقة منعزلة، لذلك دعت البنيوية إلى النظام الكلي المتكامل المتناسق الذي يوحد العلوم ويربط بعضها ببعض، وهي بهذا تدعوا إلى إنشاء منظومة متكاملة يف جمال العلوم المختلفة حيت يمكن تفسري كافة الظواهر الإنسانية علميا، وعليه يمكن القول أن البنيوية لا تختص بمجال دون الآخر وإن ارتبط وجودها بالبنية اللغوية.لقد مثلت البنيوية في حقل الفكر الفلسفي المعاصر، مجموعة متميزة و أصيلة من الدراسات و التأملات حول حقيقة الإنسان، خاصة مع ظهور أعمال الانثروبولوجي الفرنسي **كلود ليفي ستراوس**، والفيلسوف الفرنسي **ميشال فوكو** والعالم النفساني **جاك لاكان** .فما مفهوم البنيوية وماهي مبادئها؟ وهل البنيوية مذهب فلسفي أم منهج علمي؟

مفهوم البنيوية

من الصعب تحديد مفهوم دقيق للبنيوية، وعليه لا يمكن إعطاء تعريف شامل ومحدد لها لأننا نجد لها تعريفات كثيرة، نحاول عرض بعضها بالتركيز على النقط المشتركة لتلك التعريفات:

*-كلمة بنيوية structuralisme مشتقة من كلمة بنية structure وهي بدورها مشتقة من الفعل اللاتيني : struere وهو " فعل يشير بذلك للهيئة أو الكيفية التي يوجد الشيء عليها ".

*- أما في اللغة العربية فإن لفظ البنية مشتق من الفعل بنى ، يبني ، بناء وبناية، وبنية وقد تكون بنية الشيء - في العربية - هي تكوينه، ولكن قد تعني أيضا الكيفية التي شيّد على نحوها هذا البناء .

*- وإذا نظرنا إلى معنى البنية من الناحية العلمية والفلسفية فإننا نجد عدة تعريفات أهمها:

*- يعرفها **لالاند** في معجمه الفلسفي على أنها" ذلك النسق أو الكل المؤلف من ظواهر متضافرة بحيث تكون ظاهرة فيها تابعة للظواهر الأخرى، ولا يمكن أن تكون ماهي عليه إلا في علاقتها بتلك الظواهر ".

*- ورائد البنيوية **كلود ليفي تراوس** يقول" : أن البنية تحمل أولا وقبل كل شيء طابع النسق أو النظام فالبنية تتألف من عناصر إذا طرأ على واحد منها تغيير بالضرورة بحيث يحدث تغيير في بقية العناصر ".

*- وكذلك **بياجيه** يقول : :" هي مجموعة تحويلات تحتوى على قوانين كمجموعة (تقابل خصائص العناصر) تبقي أو تغتني تلعبه التحولات نفسها، دون أن تتعدي حدودها،أو أن تستعين بعناصر أخرى" . فالبنية عند **جان بياجي** تنطوي على ثلاثة أفكار رئيسية : فكرة الكلية ،فكرة التحول ، فكرة التنظيم الذاتي.

- **الكلية** : هي العلاقة المميزة للبنيات، وهي تكاد تكون بديهية لا تحتاج الى تفسير ، مادام جميع البنيويين ، سواء من الرياضيين أو اللغويين أو علماء النفس أو غيرهم يعترفون صراحة بذلك التعارض القائم بين البنيات structures والمجموعة التراكمية على أساس أن الأولى تشكل (كليات (جميع (كل) بينما الثانية تتشكل من عناصر تكون مستقلة عن المركبات التي تدخل فيها ، إلا أن هذا التميز لا يعني بالطبع إنكار العناصر التي تؤلف البنية، ومن الواضح هنا أن المهم في البنية ليس هو العناصر المكونة للكل، بل العلاقات القائمة بين هذه العناصر ، تلك العلاقات التي تخضع لقانون النسق ذاته.

- **التحولات**: إن الكليات (أو المجاميع الكلية) تنطوي بذاتها على ديناميكية تتضمن سلسلة من التغيرات أو التحولات لا تخضع إلا لقوانيين البنية ذاتها ،ولا تتوقف على أية عوامل خارجية، فالبنية لا تظل في حالة سكون وعدم تغير، بل هي تقبل دائما التغيرات بما يتفق والحاجات المحددة من قبل علاقات النسق وتعارضاته .

- **التنظيم الـذاتي** :تمتاز البنية بأنها تضبط نفسها بنفسها أو تقوم بضرب من التنظيم الذاتي الذي يحافظ على بقائها ويحقق لها نوعا من الانغلاق الذاتي ، فالتحولات الكامنة في بنية معينةلا تؤدي إلى شيء خارج النسق، ولكنها دائما تولد عناصر تنتمي إليه نفسه وتحافظ على قوانينه، ولكن على الرغم أن البنية مغلقة على ذاتها ، فأن هذا الانغلاق لا يمنع من أن تندرج تحت بنية أوسع منها بحيث تصبح بنية فرعية لبنية اخرى أوسع[1].

ظروف ظهورالاتجاه البنيـوي:

ظهرت البنيوية في فرنسا في منتصف الستينات من القرن العشرين ، بحيث يصفها المؤرخون بأنها فلسفة ما بعد سارتر والوجودية ، فلكل علم عوامله التي تساعده على ظهوره ونهوضه ، ولظهور البنيوية العوامل التالية:

- كانت الحرب العالمية الأولى والثانية سبب في دمار أوروبا ، فظهرت الوجودية لتبحث مشكلة الحرية الإنسانية وعلاقتها بالمسؤولية والقلق والتمرد ، وهذا ما يفسر أسباب انتشار الوجودية بسرعة في شتى اتحاد أوروبا خلال القرن العشرين ، ولكن في أواخر القرن العشرين تغيرت الظروف في أوروبا ، وعادت تسع من جديد للبناء والتعمير، فبدأت الوجودية تنحصر تدريجيا لتفسح المجال أمام البنيوية.
- ثورة المجتمع الأوروبي على كل جمود ومذهب فكري من شأنه أن يعرقل البناء والتقدم ، والشعور بالحاجة إلى اتجاهات فكرية جديدة مفتوحة غير مغلقة.
- السعي لتطوير العلوم الإنسانية لتلاحق تقدم العلوم الطبيعية لأن جميع المحاولات التي قبل ذلك لم تكن مجدية ، مثل التي قام بها **إدموند هوسرل** من خلال الفينومينولوجيا وكذلك الوجودية والماركسية وغيرها، وذلك لمغالاتها في التجريد والاهتمام بالذات الإنسانية دون العلاقات الموضوعية التي تربط بين الناس ومن هنا ظهرت البنائية في محاولة منها لتحاشي هذه الأخطاء السابقة بهدف تقويم العلوم الإنسانية عامة ودراسة الإنسان خاصة .ولعّل هذا ما قصده **جان لاكروا** حين قال " البنيوية هو ذلك المنهج الذي ساعد العلوم الإنسانية في هذا العصر على تحقيق تقدم عظيم"

<u>هل البنيوية مـذهب أو منهج</u> ؟

حديثنا عن البنيوية يجعلنا نقوم بعملية تحديد أولية تتمثل في الفصل بين البنيوية بوصفها مذهبا فلسفيا أو هي منهج علمي، هل البنيوية مذهب أو منهج ؟

هناك من يرى إن البنيوية في وجوهرها **منهج** قبل أن تكون مذهبا، انها جهد مفتوح للكشف عن الحقيقة الإنسانية، وليست مذهبا جامدا مغلقا، هي منهج تحليلي وتركيبي للبناءات الإنسانية بشتى مكوناتها الجزئية، وهدف هذا المنهج هو كشف العلاقات الداخلية التي تربط بين مكونات كل بناء، تمهيدا للتحكم فيها وإعادة ترتيبها والارتقاء بمستواها الوظيفي. نجد عالم النفس السويسري **جان بياجيه**، في خاتمة كتابه البنيوية يقول« اذا كان تاريخ البنيوية العلمية طويل بعض الشيء ، فالدرس الذي يجب أن نستخلصه من هذا التاريخ هو أن البنيوية لا يمكن أن تشكل موضوعا العقيدة والفلسفة والا لأمكن تجاوزها بسرعة بل تشكل بالضرورة طريقة مع كل ما تنطوي عليه هذه اللفظة من التقنية ومن الالتزامات والترف الفكري[2] . «إذن البنيوية عند **بياجيه** هي منهج علمي وليست مذهبا فلسفيا .

كما نجد زعيم البنيوية الفرنسي **كلود ليفي ستراوس**" البنيوية ليست بأي حال من الأحوال فلسفة ، وإنما هي مجرد منهج للبحث العلمي " . ويقول كذلك " إن السمة المميزة للفكر البنيوي على نحو ما أعرفه هي في الواقع حرصه الشديد على التزام حدود العلمية التامة"

و لو نظرنا إلى الاتجاهات الفكرية المتباينة التي نلتقي بها لدى كل من **كلود ليفي ستروس، ميشيل فوكو، جاك لاكان ، لويس التوسير** ، لوجدنا انه ليس ثمة مذهب بنيوي واحد يجمع بينهم ، لأن البنيوية التي ألفت بينهم لا تكون مدرسة فلسفية على عكس الماركسية والوجودية ، وهذا عبر عنه **جان لاكروا** ويقول: "ليس ثمة مذهب بنيوي".

فكل ما يجمع بين هؤلاء الفلاسفة، هو ذلك المشروع العلمي الذي أرادوا تطبيقه على معرفتنا الإنسانية ،فالقول بان البنيوية هي أولا وقبل كل شيء إيديولوجيا ، موقف عقائدي إنما يعني أن البنيوية لا تزيد عن كونها مجرد محاولة علمية منهجية لدراسة والظواهر البشرية خصوصا. فسواء كانت البنية هي النموذج أو البناء الصوري أم كانت مجموع العلاقات الباطنية المكونة لوحدة أي موضوع من موضوعات العلم ، أم كانت مجرد وسيلة معرفية أكثر معقولية و أشد ملائمة لمقتضى الحال بالقياس الى غيرها من الوسائل الأخرى السابقة أو الحالية ، وسواء أكان النموذج اللغوي مثلا : هو النموذج الأساسي الأوحد الذي لابد من استخدامه في العلوم الإنسانية ، أم كان من الضروري تكييف كل نموذج مع الطبيعة النوعية لكل موضوع من مواضيع البحث العلمي. وللبنيوية رسالة علمية، نأخذ مثلا : الفيلسوف البنيوي **لويس التوسير** عندما استخدم المنهج البنيوي في تحديد الفكر الماركسي متجاوزا إياه الى ما يمكن تسمية ما بعد الماركسية ، فالبنيوية بحث شمولي يسعى إلى توحيد جميع العلوم في نظام واحد وأن يفسر علميا كل الظواهر الإنسانية، فهذا البحث يجمع كافة المجالات المعرفية بما فيها الفلسفة .

أعلام البنيوية.

كان هناك العديد من المفكرين والعلماء الذين ساهموا في تكوين البنائية وعملوا على إبرازها في شكل واضح ومتكامل وذلك من خلال المؤلفات والدراسات ، فمن ابرز البنيويين نجد:

*- يعد العالم اللغوي السويسري **فردناند دوسوسير** (1857/1913) المؤسس الحقيقي للحركة البنيوية الحديثة من خلال كتابه الهام" **دروس في الألسنية العامة** "الذي صدر سنة 1916 ، والذي ضمنه دراسة علمية بنيوية مستفيضة فصل فيها بين **اللغة والكلام** ، بحيث تصبح اللغة بحسبه نسق من العلامات منظما عضويا، هذه العلامة تتكون من صورة صوتية هي (الدال) وتصور ذهني هو (المدلول) وفي هذا يقول لبيان أن اللغة لا يمكن أن تكون المنظومة من قيم مجردة يكفي الأخذ في حسبان اعتبار العنصرين الذين يشاركان في وظيفتهما وهما :

الأفكار والأصوات ، فكل شيء إنما يتم بين الصورة وذلك ضمن حدود الكلمة مقدرة كمجال مغلق موجود في ذاته .

*- ومن أشهر مؤسس للبنيوية العالم الانثروبولوجيا والفيلسوف الفرنسي **كلود ليفي ستروس** ، من أهم كتبه : البني الأولية للقرابة 1949 ، الجنس البشري والتاريخ 1952، الانثروبولوجيا البنيوية 1958 ، الفكر البري 1962 وأهم دراسات شتراوس في مختلف مجالات الأنثروبولوجيا ففي دراسة **للعقل البدائي** خاصة والعقل الإنساني عامة، أن يؤكد فكرة أن العقل موجود كموضوع طبيعي له أساس عام مشترك بين كافة الأجناس البشرية، محطما بذلك النظرة التقليدية للعقل الإنساني باعتباره يختلف من عصر إلى آخر ومن مجتمع إلى غيره .

*- وضمن البنائيين الفرنسيين نجد **لويس التوسير** الذي هو في حقيقته ماركسي النزعة ، لكنه اعاد دراسة الفلسفة الماركسية ومنهجها الجدلي ، يهدف تطويرها لتساهم فعليا في تقدم الإنسان والارتقاء بالمجتمع ومن أشهر مؤلفاته " **قراءة رأس المال** "اشترك فيه مع اثنان من الماركسيين الفرنسيين ، وقد حاول في هذا الكتاب أن يوسع أفكار **ماركس** في رأس المال ولا يجعلها قاصرة على النواحي الاقتصادية أو السياسية الجامدة وإنما أضفى عليها الكثير من الدراسات اللغوية والتاريخية و الفلسفية لكي لا تقتصر الماركسية على دراسة البناء الاقتصادي ، وإنما تتعداه الدراسة الأبنية الأخرى في الإنسان والمجتمع على السواء .

المراجع

- محمد عابد الجابري، مدخل الى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1998 .
- سماح رافع محمد،المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مد بولي،بيروت، 1973.
- كلود ليفي ستروس، الأنتربولوجية البنيوية، ترجمة مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1977.
- فريدة غيوة .اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة .شركة دار الهدى ، عين ميلة ،الجزائر، 2002.
- الجزيري محمد مجدي ،البنيوية والعولمة في فكر كلود ليفي ستراوس ،دار الحضارة طنطانط3 .1999.
- جون ياجي، مشكلة البنية، تر: عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، لبنان، ط3، 1982.
- حمزة جابر سلطان الأسدي .أدوات ومبادئ المنهج البنيوي .(مناهج البحث ونظرية المعرفة) مركز الكتاب للنشر القاهرة، 2016.